

انحرافات متنوعة
في دائرة المعارف الإسلامية

أ. د. خالد بن عبدالله القاسم

انحرافات متنوعة

في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول: الاستشراق ودوافعه

(يعد الاستشراق ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإنساني، فلم يعهد أن طوائف متباينة العقائد والثقافات والجنسيات أطبقت كلمتها على دراسة دين لا تؤمن به كما فعل المستشرقون)^(١).

معنى الاستشراق:

الاستشراق هو: (دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه، وخاصة الإسلام، لأهداف مختلفة شتى، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين)^(٢).

نشأة الاستشراق:

نشأ الاستشراق بعد الحروب الصليبية،^(٣) وذلك لما أخفقت تلك الحرب في تحقيق

(١) الاستشراق والفقهاء الإسلامي، محمد الدسوقي ٧٠١، بحث ضمن حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد الخامس ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) هناك تعريفات كثيرة مختلفة في اللفظ متقاربة في المعنى. انظر:

- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ٣٣، إصدار الندوة نفسها، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م

- رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب ٥-٧، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ

- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق - الاستعمار ١٠٤-١١٨، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

- الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية دت.

- الاستشراق والحلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق ٢٤، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

(٣) هناك أقوال عدة في نشأة الاستشراق هذا أرجحها، وقد قيل:

١- أنه نشأ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بعد احتكاك المسلمين بأهل الكتاب، سواء نصارى نجران، أو

يهود المدينة، أو مع الروم في مؤتة وتبوك.

٢- أنه نشأ إبان الفتوحات الإسلامية الأولى لمصر والشام.

أهدافها أعاد رواد الاستشراق الكثرة، وعلى رأسهم ريموند لول^(١) الذي أقنع ملك أرغون سنة (١٢٧٦م) بإنشاء مدرسة لتعليم العربية للرهبان، وأشرف بنفسه عليها، ثم أنشأ معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، وبذل قصارى جهده لإثارة اهتمام الكنيسة والملوك بتعلم اللغات الشرقية في أوروبا خلال ست سنوات (١٢٩٤-١٣٠٠م)، وفي مؤتمر فيينا سنة (١٣١٢م) أقر البابا إنشاء كراسي في خمس من الجامعات الغربية لدراسة اللغات الشرقية (العربية والعبرية والكلدانية)^(٢)، وهذه هي البداية الحقيقية للاستشراق الحديث.

وقد ألف القس زويمر^(٣) كتابه عن ريموند لول بعنوان (أول مبشر بين المسلمين) ومدحه بقوله (وإلى يومنا هذا كل المستشرقين وكتابتهم مدينون لريموند لول)^(٤) كما سمي ابنه ريموند لول إعجاباً به وتحليداً لذكراه^(٥).

أهداف المستشرقين:

بذل المستشرقون جهوداً كبيرة ونشاطاً لا ينكر في معرفة العلوم العربية والإسلامية، وقد تمثل ذلك في تعلمهم اللغة العربية، ومن ثم قراءة القرآن الكريم بلغته، وكذلك السنة النبوية، وما كتبه علماء الإسلام، وفي الترحال المضني في بلاد المسلمين ومخالطتهم التعرف على

٣- أنه نشأ مع ظهور نخبة من أهل الكتاب الدارسين للإسلام مثل: يوحنا الدمشقي الذي ألف كتابه (إرشاد

النصارى في جدل المسلمين) وعبد المسيح الكندي ويحيى بن عدي، وغيرهم

٤- أنه نشأ في الأندلس إبان ازدهارها العلمي في ظل الدولة الإسلامية، مما تطلب من علماء الدنيا معرفة اللغة العربية للاطلاع على تلك العلوم وترجمتها.

(١) ريموند لول (١٢٣٥هـ-١٣١٤) مستشرق فرنسي متعدد المواهب، فهو شاعر وقصصي ورياضي ومعلم ومنصّر ومتصوّف ورخالة، تعلم العربية وحفظ القرآن، وطاف بشمال أفريقيا أكثر من مرة ومات بها، وقد وصف المستشرق رينان بأن هدم الإسلام كان حلم حياته (انظر: المستشرقون للعقيقي ١/١٢٢، رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٥٨).

(٢) المستشرقون للعقيقي ١/١١٢، والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة ٣٣.

(٣) صمويل زويمر قس أمريكي معاصر، من زعماء المنصرين والمستشرقين، ترأس مؤتمر كلورادو سنة ١٩٧٨م، أسس مجلة العالم الإسلام وهي أخطر مجلة تنصيرية، كما كان مؤسساً للإرسالية الأمريكية في الخليج العربي، فأنشأ العديد من الكنائس والمدارس والمكتبات والمستشفيات في البحرين والبصرة والكويت وقطر والإمارات، ومن كتبه (تفكك الإسلام) ويعد قدوة لعامة المنصرين. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٦١-٦٣).

(٤) الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، قاسم السامرائي ٩٣ نقلاً عن أول مبشر بين المسلمين لزويمر ٦٤.

(٥) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ٥٨.

عقائدهم وعاداتهم، وربما استدعى ذلك لبس ملابسهم والتسمي بأسمائهم، بل وصل الأمر ببعضهم إلى حد التنكر بأنهم مسلمون لتسهيل مهمتهم كما فعل هورجيني^(١)، وقد يكون بعضهم أسلم فعلا لما علم الحق كما كان من دينه^(٢)، ولكن غالبيتهم العظمى لم يكونوا كذلك.

إن كل ذلك لم يخرج من فراغ ، وإنما لأهداف ومقاصد ظاهرة لمن تتبع كتاباتهم، وسير أغوارهم، كما أن الملاحظ لنشأة الاستشراق، ونشاطه في فترات مختلفة مثل نشاطه عند انتصارات المسلمين، أو عند دعوتهم إلى دينهم كما هو حاصل اليوم يعلم أن الهدف العام منه هو دراسة أحوال المسلمين للحيلولة دون انتصاراتهم وظهور دولتهم، وأقصر عبارة تلخص أسباب دراسة الغرب للإسلام هي من باب (اعرف عدوك).

ويمكن استقراء أهداف تفصيلية له فيما يأتي:

أولاً: الطعن في نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأساليب شتى، منها: إنكار الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وتكذيبه، والطعن في أخلاقه، والطعن في أزواجه أمهات المؤمنين، وسائر أصحابه.

ثانياً: الطعن في عقيدة أهل السنة والجماعة، ومدح ومناصرة الطوائف المنحرفة مثل الفلاسفة والباطنية والصوفية وغيرها، وهذا البحث يصب في هذا الموضوع.

ثالثاً: الطعن في شريعة الإسلام، وزعمهم أنها غير صالحة للتطبيق.

رابعاً: التشكيك في ثبوت السنة النبوية خاصة والتاريخ الإسلامي عامة.

خامساً: الطعن في اللغة العربية ومحولة إحياء اللهجات المحلية والقوميات المختلفة سعياً لإضعاف تماسك المسلمين بالقرآن وتفريق وحدتهم.

(١) هورجنيه كرسيتيان سنوك، (١٨٥٧-١٩٣٦) مستشرق هولندي، تعلم في ليدن، وستراسبورغ، رحل إلى جاوه، وسافر إلى الحجاز وأقام بمكة نصف عام مدعياً الإسلام ومتسماً بعبد الغفار (١٨٨٥)، يعد عميد العربية بعد قولد زيهير، له كتب عن الحج وجغرافية مكة وأمثال أهل مكة، انظر المستشرقون للعقيقي ٣١٥-٣١٦، وموسوعة المستشرقين لبدوي ٣٤٥-٣٤٧ .

(٢) دينيه. ي. ت (١٨٦١-١٩٢٩) مستشرق فرنسي سافر إلى الجزائر وأشهر إسلامه، وتسمى بناصر الدين، حج إلى بيت الله الحرام، وكتب بعض الكتب عن الإسلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الحج إلى مكة. (انظر المستشرقون للعقيقي ٢٢٨/١) .

سادسا: التبشير بالنصرانية بين المسلمين.

سابعا: أهداف استعمارية تخدم الدول المستعمرة لبلدان المسلمين بأخذ خيراتها، وطمس هويتها والسيطرة عليها.

إن المستعمر مهما كانت أغراضه المادية فهو يسعى إلى طمس حضارة المستعمر، لا سيما إذا كانت تلك الحضارة مرتبطة بدين الإسلام الذي يشعر عامة الغربيين بالكراهة الشديدة له.

أضف إلى ذلك رغبة المستعمر في تبعية المستعمر، ومن ثم الحرص على تحطيم العامل الذي يمكن أن يقود المستعمرة إلى الاستقلال.

ولا شك أن الإسلام أهم العوامل الدافعة لذلك، حيث إن فيه قوة دافعة للتضحية والجهاد تؤرق أولئك المستعمرين، وقد قال نابليون^(١) إبان احتلاله لمصر: (إن أهم العقبات التي تواجه الاحتلال الفرنسي لمصر هي: ١- إنجلترا، ٢- الدولة العثمانية. ٣- الإسلام وهو أصعبها)^(٢).

لذا لا يستغرب وجود تعاون وثيق بين الحكومات المستعمرة وبين كثير من المستشرقين، والذي بلغ أوجه بتوظيف أولئك المستشرقين في وزارات المستعمرات الخارجية والحرية أمثال: هورجنيه، وجوينبول^(٣)، وماسينيون^(٤)، وكولان^(٥)، وغيرهم.

(١) نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢٤) عسكري فرنسي أصبح إمبراطور فرنسا، غزا مصر سنة ١٧٩٨ واحتله بعد حرب المماليك، حيث كان يحلم بإمبراطورية الشرق، وبعد انتصارات حربية كثيرة في أوروبا هُزم وقضى السنوات السبع من عمره سجيناً. (انظر شخصيات فوق العادة، السيد فرج ١١٥-١١٩، دار المعارف بمصر، ط١). .

(٢) الاستشراق بين الموضوعية والافتعال، قاسم السامرائي ٥٢ .

(٣) حوينبول (١٨٦٦-١٩٤٨) مستشرق هولندي درس القانون واللغة العربية، اهتم بعلمي الحديث والفقهاء، كان يعمل مستشاراً للبريطانيين والأمريكيين في تخطيط سياستهما المالية لإسرائيل. (انظر الاستشراق إدوارد سعيد ٢٧٥-٢٧٦، ٣٠٧، ٣٢١، والمستشرقون للعقيقي ٣٢٩/٢-٣٣٠، وموسوعة المستشرقين لبدوي ٤٤٢).

(٤) ماسينيون لويس (١٨٨٣-١٩٦٢) مستشرق فرنسي، اشترك في مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة (١٩٠٥) حيث تعرف على قولد زيهير وتعلم عليه، استمع إلى دروس الأزهر بالزري الأزهرى، وطاف العالم الإسلامي، ورأس تحرير مجلة العالم الإسلامي، وعُين أستاذ كرسى في باريس في الاجتماع الإسلامي، تأثر بالحلاج، وكتب عن التصوف الإسلامي حتى عُده مرجعه في الغرب، تربو آثاره على (٦٥٠) ما بين كتب ومقالات. (انظر: الاستشراق لإدوارد سعيد ٢٧٥-٢٧٦، ٣٠٧، ٣٢١-٣٢٣. المستشرقون للعقيقي، ٢٦٣-٢٦٨. والأعلام للزركلي ٥/٢٤٧).

بل إن جل المستشرقين ينظرون إلى الشرق والإسلام نظرة استعلائية، وقد ساق إدوارد سعيد^(٢) الشواهد العديدة المثبتة لذلك، حيث إن الانطباع عن الشقي هو أنه لا عقلائي، فاسق، طفولي، بينما الأوروبي عقلائي متحل بالفضائل... الخ^(٣)

(إن من يتتبع تاريخ الاستشراق في العصر الحديث يتبين له بكل وضوح أن دراسات المستشرقين للإسلام والمسلمين ذات ارتباط وثيق بخدمة الاستعمار، وخدمة التنصير، وخدمة الحكومات والاستخبارات الغربية في تحقيق مخططاتها وأهدافها الرامية -على المدى القريب والبعيد، بالوسائل الخفية والمعلن- إلى حرب شاملة ودائمة على الإسلام والمسلمين في مجالات العقيدة والشرعة والثقافة الإسلامية، وأحياناً في ميادين القتال)^(٤)

وهذا الهدف لم ينته بانتهاء الاستعمار المعلن، بل هو باق مع بقاء الإسلام، ومع بقاء أولئك القوم من أهل الكتاب، ومهما أرضاهم بعض بني جلدتنا بتقديم التنازلات فإنهم لن يقبلوا في النهاية إلا أن نتبع ما هم عليه، كما أخبرنا بذلك ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾^(٥)، ﴿... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٦).

ولكن هذا الهدف يتشكل حسب طبيعة المعركة فتارة يكون حرباً صليبية، وأخرى جهوداً حثيثة لردة المسلمين عن دينهم باسم التبشير، وثالثة استعماراً ظاهراً، ورابعة فرض العقوبات والمحاصرة الاقتصادية على من لا يذعن لإرادتهم، وخامسة وضع الحكومات العميلة لتكفيهم ما يودون عمله، وسادسة التدخل باسم حقوق الإنسان، وسابعة التدخل بحجة

(١) كولان (١٨٣-١٩٧٧) مستشرق فرنسي درس اللغات الشرقية في باريس، عمل مدير مدرسة اللغات الشرقية في مراكش، وعمل في وزارة الخارجية الفرنسية في المغرب وفرنسا، وفي الاستخبارات، ودرس في باريس في أماكن متفرقة، له عدة أبحاث ومقالات عن اللغة العربية واللهجات المحلية. (انظر المستشرقون للعقيقي ٢٩١/١، وموسوعة المستشرقين لبدوي ٣٤٣).

(٢) إدوارد سعيد مفكر فلسطيني الأصل أمريكي الجنسية، نصراني الديانة، أستاذ بالجامعة الأمريكية، وله كتابه المشهور (الاستشراق) توفي في نهاية رجب ١٤٢٤ هـ.

(٣) الاستشراق، إدوارد سعيد، ٦٣-٧٩، ترجمة كمال أبو ديب.

(٤) رؤية إسلامية للاستشراق لأحمد غراب ١٧٣.

(٥) البقرة ١٢٠.

(٦) النساء ٧٨.

القضاء على أسلحة الدمار الشامل، وثامنة باسم القضاء على الإرهاب، وتاسعة وعاشرة....

وهذا الأمر واضح من مواقف المستشرقين من العودة إلى الإسلام المنتشرة في العالم الإسلامي التي أثارت القلق والهلع في الغرب؛ وذلك لأسباب عديدة، أهمها العداء الصليبي القديم، وأيضاً لأن في قوة المسلمين وعودتهم إلى دينهم تحرُّهم من التبعية للغرب، وبالتالي المساس بمصالح البلاد الغربية —على حد قولهم في البلاد الإسلامية.

لذا نجدهم يسخِّرون جهودهم لدراسة الدعوات الإسلامية وتسميتها جميعاً (التطرف الإسلامي) لمحاربتها.

وما نسمع اليوم ونشاهد في وسائل الإعلام المختلفة من تصريحات كبار الساسة والمثقفين في الغرب أن التطرف الإسلامي هو العدو الأول للغرب بعد تفكك الاتحاد السوفيتي؛ إلا أن أبلغ شاهد على ذلك، ومن ذلك تصريح الأمين العام لحلف الأطلسي (الناطو) حيث وصف ظاهرة التطرف الأصولي في بعض الدول الإسلامية بأكبر خطر فردي تواجهه دول الحلف^(١)، وكذا اجتماع وزراء داخلية دول حلف (الناطو) مع نظرائهم الدول العربية (مصر وتونس والمغرب وموريتانيا) بالإضافة لإسرائيل، بغرض مساعدة هذه الدول في محاربة التطرف الديني^(٢).

وهذا ما يدور عليه هنتجتون في كتابه صدام الحضارات الذي جعل الحضارة الإسلامية هي العدو الأول للحضارة الغربية، وكتابه هو في الحقيقة تحريض لقادة الغرب على الإسلام^(٣).

(١) صحيفة الشرق الأوسط اليومية ١٧/٩/١٤١٥ هـ ص ٩.

(٢) كان هذا في نهاية رمضان ١٤١٥ هـ، (انظر صحيفة الشرق الأوسط ٢٥/٩/١٤١٥ هـ الصفحة الأولى، ومقالة لفهمي هويدي بنفس الصحيفة بتاريخ ١٤/٩/١٤١٥ هـ، ص ٩ بعنوان (دوافع مواجهة حلف الأطلسي للأصولية الإسلامية المتطرفة في دول الشرق الأوسط).

(٣) انظر كتاب صدام الحضارات ، صمويل هنتجتون، ترجمة طلعت الشايب، شركة سطور، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩ م.

وأيضاً تخصيص الكونغرس الأمريكي ملايين الدولارات للدراسات عن الأصولية الإسلامية في البلاد الإسلامية^(١) مما أسهم في إخراج بعض الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها كتاب (الأصولية في العالم العربي) لكمجيان^(٢) الذي درس فيه بواعث الحركات الإسلامية، وتاريخها، وحجمها خاصة في مصر والعراق وسوريا والسعودية ودول الخليج، وأخيراً وضع توقعاته المستقبلية، وفي الكتاب ملحق لجدول (٩١) جماعة إسلامية في العالم صنفها بحسب معتقداتها ودرجة جهاديتها، ومعلومات عن عضويتها وقيادتها وحجمها وبلدها وروابطها الخارجية^(٣)

كما خرجت توصيات عديدة من المستشرقين الخبراء للحكومة الأمريكية لمحاربة الحركات الإسلامية، منها على سبيل المثال:

- يوصي كمجيان بإيجاد بديل إسلامي قادر على الحياة ليحل محل الأصولية النضالية، كما ينصح الحكام العرب بالقضاء على الأصولية بالإصلاح الشامل، والاعتدال في استخدام القوة^(٤).

- يوصي إيلتس^(٥) بإعداد دراسة الخطط في إثارة الشقاق بين الجماعات الإسلامية^(٦).

(١) أعرف طالبا درس في الولايات المتحدة، ولما رأى المشرف عليه أن له اتجاهات دينية طلب منه دراسة (علاقة العنف السياسي الرسمي بالعنف الشعبي، حالة دراسية للحركات الإسلامية في مصر) وأنه سيموله بمبالغ طائلة لدراسة هذا الموضوع، واعتذر الطالب أول الأمر ثم بعد عدم الموافقة على موضوعات أخرى، وذهاب المدة، وتشجيعهم له، وتحمل النفقات عنه، وافق على الموضوع، وزودوه بكل ما يطلب ومنها مساعدته في دخوله للمعتقلات في بعض الدول العربية لتحقيق الدراسة.

(٢) ريتشارد كمجيان مستشرق نصراني أرمني ولد سنة ١٩٣٣م في حلب ونشأ بها، هجر إلى أمريكا وتجنس بجنسيتها، وعمل أستاذا للعلوم السياسية بجامعة نيويورك، ومحاضرا ومستشارا في وزارة الخارجية، له كتاب الأصولية قدمه في الأصل كتقرير للحكومة الأمريكية كتب فيه عن خطر الصحوة الإسلامية وكيفية تحجيمها. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٥٢).

(٣) الأصولية في العالم العربي، ريتشارد كمجيان ٢٤٧-٢٦٥، ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٤) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٤-١٦٥.

(٥) هرمان إيليس مستشرق أمريكي دبلوماسي خطير عمل في المخابرات الأمريكية، ثم تولى مناصب دبلوماسية متعددة في عدد من المدن العربية منها الرياض وجدة. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٥٣).

(٦) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٨.

- كما يوصي بابيس^(١) بتخفيض الروابط الأمريكية المعلنة بالحكومات (الموالية
لأمريكا)، ولا سيما في البلدان التي تكون فيها حركات (إسلامية) متعصبة وقوية، فهنا لا بد
من إقامة تعاون سري بدلاً من الروابط المعلنة الواضحة، وينصح بعدم تقديم المساعدة
للمتعصبين (الإسلاميين) في صفوف المعارضة، مع التسليم بأن اتصال الولايات المتحدة بهم
يساعد على فهم وجهات نظرهم ورصد نفوذهم، إلا أنه يجب ألا تمد يد المساعدة إليهم^(٢).
وقد عقد مؤتمر عن الأصولية في قسم اللاهوت بجامعة شيكاغو في منتصف مارس
١٩٩٣م، واستمر ثلاثة أيام، وكان من أهم نتائجه إنشاء بنك معلومات حول الأصولية
وحركاتها، وقد طبع ثلاثة مجلدات في هذا الموضوع^(٣).

ثامناً: أهداف تجارية لتسويق بضائعهم وتشغيل شركاتهم، وتوظيف خبرائهم، وقد ظهر هذا
الهدف جلياً في احتلال العراق، كما كانت المؤسسات والشركات الكبرى تدفع المال
لوفير من أجل الحصول على معلومات عن العالم الإسلامي.
تاسعاً: أهداف علمية متجردة وهذا لا ينكر؛ ولكنه لا يوجد إلا في أقل القليل منهم، ويعد
أمراً فردياً خارجاً عن منظومة المؤسسات الاستشرافية التي لا ترضى ذلك، كما لا
يرضاه الحكام السياسيون وتأباه المؤسسات الدينية عندهم.
ومن أمثلة هؤلاء: المستشرق الفرنسي دينيه الذي عاش في الجزائر وأسلم حين علم
الحق.

وموريس بوكاي^(١) الذي أعلن إسلامه بعد تبين موافقة القرآن مع العلم الحديث، على
كثرة الموضوعات العلمية فيه، وظهور تناقض كتب اليهود والنصارى مع العلم أن موضوعاته
فيها قليلة.

(١) دانييل بابيس مستشرق أمريكي سياسي عمل وثيقة هامة لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد بعنوان:
(المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة)، ويقدم فيها توصياته للحكومة الأمريكية بشأن التعامل مع الشرق
الأوسط. (انظر رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٤-١٦٥)

(٢) رؤية إسلامية للاستشراق لغراب ١٦٨.

(٣) مقال بعنوان الأصولية والسياسة العامة تشكيل العالم الحديث في مؤتمر بجامعة شيكاغو، مجلة المجتمع الكويتية العدد
١٠٤٨ بتاريخ ١٣/١١/١٤١٣ هـ ص ٢٩.

ومحمد أسد^(٢) المستشرق النمساوي الذي أسلم وألف كتابه الشهير (الإسلام على مفترق الطرق) وكتابه الآخر (الطريق إلى مكة)

ومراد هوفمان^(٣) السفير الألماني في المغرب، الذي أسلم بعد معرفة الإسلام وكتب كتابه (الإسلام كبديل).

والسفير الإيطالي في الرياض الذي أسلم سنة ١٤٢٢ هـ بعدما تأثر بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والشعائر الإسلامية.

كما لا ينكر جهود بعض المستشرقين وإسهامهم العلمي -أيا كانت أهدافهم- ومن ذلك الكتب والمعاجم والموسوعات التي أخرجوها، والكتب التي حققوها، وكانت مفيدة للمسلمين، وعلى سبيل المثال:

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي أخرجه جماعة من المستشرقين وعمل رأسهم فنسنك.

- مفتاح كنوز السنة لفنسنك أيضاً، وقد قام بنشره باللغة العربية محمد فؤاد عبد الباقي، وقدم له رشيد رضا وأحمد محمد شاكر^(٤).

كما كانت لهم جهودٌ لا تنسى في كشف المخطوطات، وحفظها، وفهرستها والعناية بها، ويوجد في مكتبات أوروبا عشرات الآلاف من المخطوطات الإسلامية^(٥)، وفي مكتبة باريس

(١) طبيب فرنسي معاصر أسلم بعد ما تبين الحق له من خلال مقارنة التوراة والإنجيل الموجودة اليوم والقرآن، مع العلم الحديث، وألف كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) وخرج بنتيجة تناقض كتب التوراة والإنجيل مع العلم الحديث، وعدم معارضة القرآن لهذا العلم .

(٢) ليوبولد فايس، مستشرق نمساوي ولد في ليفو سنة ١٩٠٠م عملاً مراسلاً صحفياً في الشرق الأوسط، أسلم بعد دراسة مستفيضة للإسلام.

(٣) مراد هوفمان سياسي ألماني تولى سفارة بلده بالمغرب واعتنق الإسلام بعد دراسة واطلاع. (انظر مقدمة كتاب الإسلام كبديل نشر مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام، ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

(٤) من المعلوم أن هذه الكتابين ألفهما المستشرقون لتسهيل الرجوع للأحاديث النبوية لخدمة أهدافهم الخاصة، لا لخدمة الإسلام، وهذا معلوم من سيرة المؤلف.

(٥) المخطوطات الإسلامية وصلت للغرب عن طريقين في الغالب، الأول: المستشرقون الرحالة الباحثون عنها، ومن ثم شراؤها، والكلام هنا عنهم، والثاني: سرقة تلك المخطوطات أيام الاستعمار، ونقلها للغرب.

الوطنية وحدها سبعة آلاف مخطوط عربي بينها نفائس علمية وأدبية وتاريخية ونوادر قلما
توجد في غيرها^(١).

(١) المستشرقون للعقيقي ١٤٢/١.

المبحث الثاني: تعريف بدائرة المعارف الإسلامية:

تعد دائرة المعارف الإسلامية أهم مؤلف استشرافي على الإطلاق وهذا يرجع لأسباب متعددة منها: العدد الكبير من أساطين المستشرقين المساهمين فيها، وكبر حجمها، وتنوع المعارف فيها، واستمرارية إخراجها، وتعدد لغاتها، حيث خرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك، وتعد بحق خلاصة الفكر الاستشرافي لذا لا يستغني عنها أي باحث في علم الاستشراق.

وقد شعر المستشرقون في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم باللغات الثلاث الألمانية والإنجليزية والفرنسية، فدعوا إليها في سنة ١٨٩٥م وكلفوا هوتسما^(١) بإنشائها ومطبعة ليدن بإصدارها، واستعين بالجامع ومؤسسات نشر العلم في أوروبا قاطبة للإتفاق عليها^(٢).

بدأ تأليفها سنة ١٩٠٦م ومن أوائل من بادر بها هوتسما، وحرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند الهولندية^(٣)، ثم حل محله فيما بعد فنسك^(٤) عام ١٩٢٤م،

(١) هوتسما: مستشرق هولندي (١٨٥١م - ١٩٤٣م) تخرج باللغات العربية والفارسية والتركية في جامعة أوترخت، وعلمها فيها، حصل على الدكتوراه من ليدن على رسالته (النزاع حول العقيدة في الإسلام) وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، (انظر الأعلام للزركلي ٢٥٢/٥)، المستشرقون للعقيقي ٣١٥/٢، وموسوعة المستشرقين لبدوي ٤٢٨-٤٢٩)، حرر في الدائرة عدة مواد منها (القاديانية، والسلاجقة).

(٢) المستشرقون للعقيقي ٣٧١/٣.

(٣) المستعمرات الهولندية في جنوب شرق آسيا كإندونيسيا وماليزيا وغيرها.

(٤) فنسك: مستشرق هولندي (١٨٨٢م - ١٩٣٩م) من أشهر المستشرقين وأكثرهم إنتاجاً، تعلم اللغة العربية وأصبح أستاذاً في جامعة ليدن، ألف معجماً للحديث النبوي وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي وسماه (مفتاح كنوز السنة) ووضع بمساعدة غيره المعجم المفهرس للحديث النبوي، (انظر الأعلام للزركلي ٢٨٩/١)، المستشرقون للعقيقي ٣١٩/٢-٣٢٠، وموسوعة المستشرقين لبدوي ٢٨٩-٢٩٠)، وهو من أكثر المستشرقين كتابة في الدائرة، حرر ٧٥ مادة متنوعة، وفي كثير من كتاباته يرجع الشريعة الإسلامية إلى مصادر يهودية ونصرانية.

وتولى تحرير النسخة الألمانية شادة^(١)، وهارتمان^(٢)، وبوير^(٣)، وتولى تحرير النسخة الفرنسية رينيه باس^(٤)، وأشرف أيضاً على جميع الأبحاث المتعلقة بشمال أفريقيا، ثم خلفه ابنه هنري^(٥).

وتولى تحرير النسخة الإنجليزية أرنولد^(٦) فأشرف على جميع الدراسات المتعلقة بالبلاد

(١) شادة: مستشرق ألماني (١٨٨٣م - ١٩٥٢م) درس اللغات الشرقية وعين أستاذاً في جامعة هامبورج وفي الجامعة المصرية، ثم مديراً لدار الكتب المصرية بالقاهرة، من آثاره: كتاب الشريعة الإسلامية، (انظر المستشرقون للعقيقي ٤٤٨/٢ - ٤٤٩، ٣/٣٧١)، وحرر ٣٢ مادة في الدائرة في الطبعة الأولى أغلبها في اللغة والأدب.

(٢) هارتمان: مستشرق ألماني (١٨٨١م - ١٩٦٥م) درس العربية وتعين أستاذاً لها في جامعة برلين، ومديراً لمعهد اللغات الشرقية ببرلين، وانتخب عضواً في مجامع كثيرة منها المجمع العلمي العربي بدمشق، له آثار كثيرة منها: تفسير القرآن، ودراسات عن البدو وعن الوهابيين، (انظر المستشرقون للعقيقي ٤٤٥/٢ - ٤٤٦)، حرر في الطبعة الأولى ٣٧ مادة لمواقع جغرافية في آسيا، ووصف العقيدة الإسلامية بالتشدد، وطعن في دعاة الإسلام.

(٣) بوير: لم أجد له ترجمة، ووجدت ترجمة لمستشرق ألماني باسم سالمون بوير نشر رسالتين فيما وراء الطبيعة للبهلولاني ولم أجد له سوى ذلك، (انظر المستشرقون للعقيقي ٣٦٠/٢).

(٤) رينيه باس: مستشرق فرنسي (١٨٥٥م - ١٩٢٤م) تخرج من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وأسند إليه تدريس العربية بمدرسة الآداب العليا بالجزائر ودرس فيها أيضاً الحبشية والتركية والبربرية، كتب في مجالات استشرافية عديدة، ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة ١٩٠٥م، عينته وزارة الخارجية قنصلاً لها في الجزائر وانتخب عضواً في مجامع كثيرة، وله آثار بالعربية والبربرية والحبشية، كتب عن المسلمين في الصين والشعر العربي قبل الإسلام، (انظر المستشرقون للعقيقي ٢١٨/١، ٣/٣٧١)، حرر في الدائرة في الطبعة الأولى والثانية ٢٥ مادة عن الغرب العربي والبربري والمرابطين والصوفية، وقد ذم مذهب الإمام مالك ووصفه بالتشدد.

(٥) هنري باس: مستشرق فرنسي (١٨٩٣م - ١٩٢٦م) تخصص بدراسة المسلمين تاريخاً وأدباً واجتماعاً، عين مديراً لمعهد الدراسات العليا بالرياض، تحدث عن الغرب وخاصة الآثار، (انظر المستشرقون للعقيقي ٢٨٩/١)، مستشرقون لنذير حمدان (١٢٠) لم أجد له كتابات في الدائرة ولعله أشرف من غير أن يكتب، ووجدت له خارجها كتاباً وفيه (الرجل المطرود من قبيلته على أثر خطأ أو جرم يجد نفسه في وضعية بائسة، وهذه كانت حالة محمد في فترة ما)، انظر الإسلام: هنري باس ٢٤-٢٥ ترجمة بهيج شعبان إصدار عويدات بيروت د. ط. ت.

(٦) أرنولد توماس: مستشرق ومؤرخ إنجليزي مشهور (١٨٦٤م - ١٩٣٠م) تعلم في بريطانيا، ودرس في عليكره في الهند، ثم في بريطانيا أستاذاً في تدريس الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية، في لندن ثم عميداً لها إلى وفاته، لم تظهر في كتاباته التعصب له كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام) وترجم إلى عدة لغات أظهر فيه إعجابه بالإسلام، (انظر الأعلام للزركلي ٩٤/٢، والمستشرقون للعقيقي ٨٤/٢، ومستشرقون لنذير حمدان ١٢٠)، حرر في الدائرة في الطبعة الأولى ١٣ مادة متنوعة.

المتصلة ببريطانيا ما عدا مصر^(١).

ثم عهد بالمقالات المختلفة في كل موضوع من موضوعاتها إلى مستشرقين آخرين يوقعون على ما يكتبون.

وأصيب نشاط لجنة الدائرة بعد الحرب العالمية الثانية بشيء من الاضطراب وقضي على بعض أعضائها في ساحاتها، ثم استأنفت من بعد نشاطاتها بإشراف كرامرز^(٢)، وجب^(٣)، وليفي بروفنسال^(٤)، بنشر طبعة جديدة منقحة سنة ١٩٤٥م ثم اجتمعت في روما سنة ١٩٥٦م وقبلت استقالة جب، فأصبحت لجنة التحرير مكونة

(١) المستشرقون للعقيقي ٣/٣٧١.

(٢) كرامرز: مستشرق هولندي (١٨٩١م - ١٩٥١م) عمل ترجمان للسفارة الهولندية في الآستانة، وعين أستاذا للتركية والفارسية في جامعة ليدن، ثم خلف فنسنك على كرسي العربية فيها، له بعض الكتب والمقالات في التاريخ والجغرافيا والشرعية، (انظر المستشرقون للعقيقي ٢/٣٢١)، حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ٥٧ مادة جغرافية وتاريخية ولا يظهر من كتاباته التعصب؛ بل اتهم المصادر الأوروبية بعدم الإنصاف في تاريخ العثمانيين، انظر الدائرة الأولى ١٢/١٥٢ سليمان القانوني.

(٣) هاملتون جب: من أكبر مستشرفي إنجلترا في وقته، (١٨٩٥م - ١٩٧١م)، ولد في الإسكندرية وتعلم في إنجلترا، وترحل في الدول العربية، عمل أستاذا للعربية في اكسفورد، ثم هارفارد الأمريكية، عين عضواً بالجمع اللغوي المصري وعضواً في الجمع العربي بدمشق وبغداد، كتاباته في غاية الخطورة، حيث كتب في التاريخ الإسلامي والمذاهب الإسلامية، وحاول أن يرد كل تقدم في الإسلام إلى المسيحية، كما حاول أن يرد الأدب العربي إلى الثقافة اليونانية، (انظر موسوعة المستشرقين لبدوي ١٠٥-١٠٦، المستشرقون للعقيقي ٢/١٢٩-١٣٠، ٣/٣٧٢)، من أكثر المستشرقين كتابة في الدائرة حيث حرر في الطبعة الثانية ١٧٠ مادة أغلبها تراجم متنوعة وقد كتب متنقفاً لأبي عبيدة رضي الله تعالى عنه.

(٤) ليفي بروفنسال: مستشرق يهودي فرنسي (١٨٩٤م - ١٩٥٦م) ولد في الجزائر وتخرج في كلية الآداب فيها، اشترك في الحرب وعين ضابطاً في الشئون الإسلامية بالمغرب ثم أستاذاً بمعهد الدراسات العليا بالرباط، ثم مديراً له، نال الدكتوراه في لغة قبائل شمال المغرب، كلفته حكومته بمهام بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق، كان كثير الاشتغال بالمخطوطات العربية، كوفى على جهوده في الحرب والاستشراق بأوسمة عديدة، وعضوية مجتمعات عدة منها الجمع العلمي العربي بدمشق، والجمع اللغوي بالقاهرة، (انظر الأعلام للزركلي ٢/٣٥، والمستشرقون للعقيقي ١/٢٩٣-٣٠٠)، حرر في الدائرة ٦٨ مادة في كلا الطبعتين عن المغرب العربي وأسبانيا ولا يظهر من كتاباته التعصب.

من شاخت^(١) وشار بيلا^(٢)، وبرنارد لويس^(٣) ثم عقد بعد ذلك دورات تتغير فيها اللجان مع بقاء الهدف.

وكانت مؤسسة روكفلر منحتها ٤٥ ألف دولار لاستكمالها سنة ١٩٦٢م.

فالطبعة الأولى صدرت خلال الأعوام ١٩١٣م - ١٩٣٨م باللغات الثلاث، والثانية بالإنجليزية والفرنسية فقط ١٩٤٥م ١٩٧٧م^(٤).

وقد عربت دائرة المعارف في ثلاث إصدارات^(٥) هي:

١ - الإصدار الأول: وهو ترجمة للطبعة الأولى، وقد بدأ إخراجها في سنة

١٩٣٣م في خمسة عشر مجلداً، كل مجلد يقارب خمسمائة صفحة اشتملت على

مواد من حرف الألف حتى أجزاء من حرف العين، وبالتحديد انتهت بمادة (عارفي

باشا) وطبعتها دار الفكر بالقاهرة.

(١) يوسف شاخت: مستشرق يهودي ألماني (١٩٠٢م - ١٩٦٩م)، تخرج في جامعتي برسلاوا وليزيغ وعين أستاذاً في جامعة فرايبورج، ثم الجامعة المصرية، ثم درس في الجزائر، وتحسن بالبريطانية، ودرس في قسم الدراسات الإسلامية بإكسفورد، ثم ليدن، ثم كولمبيا بأمريكا إلى وفاته، انتخب في مجامع عدة منها الجمع العلمي بدمشق، اشتهر بدراسة التشريع في الإسلام، (انظر الأعلام للزركلي ٢٣٤/٨، والمستشرقون للعقيقي ٤٦٩/٢ - ٤٧١)، حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٣٢ مادة عن الشريعة، مليئة بالتعصب والحقد، وهو من أكثر الكتاب المشككين في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اتهمه بعدم العدل في توزيع الأموال، وأن الزكاة عرفها النبي صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة، كما هاجم كثيراً من فقهاء المسلمين، كالشافعي، والحنابلة، وابن تيمية، وابن القيم، وهاجم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) شار بلا: مستشرق فرنسي ولد في الجزائر ١٩١٤م، درس اللغة العربية والبربرية في الجزائر ثم دكتوراه الآداب من باريس، تقلد عدة مناصب علمية في مراكش، ثم السربون، ثم مديراً لقسم الدراسات الإسلامية في باريس، له آثار تقارب الأربعمئة في المجالات العلمية ودائرة المعارف، (انظر المستشرقون للعقيقي ٣٥٣/١ - ٣٥٧) حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٤٦ مادة غالبها عن الأدب.

(٣) برنارد لويس: مستشرق إنجليزي ولد في سنة ١٩١٦م، درس الدراسات الشرقية بلندن، ثم درس بجامعة أكسفورد، وهو عضو في كثير من الجمعيات، والجامعات الأوروبية المعنية بالدراسات الشرقية، له كتابات عدة عن الإسلام، (انظر المستشرقون للعقيقي ١٤٣/٢ - ١٤٥، ٣٧٢/٣)، حرر في الدائرة في الطبعة الثانية ٣٥ مادة غالبها عن الشام ولم أجد له فيها ما يدل على التعصب أو ضده.

(٤) المستشرقون للعقيقي ٣٧٢/٣.

(٥) عند النقل من الدائرة يكتب في الهامش: الدائرة ثم رقم الإصدار ثم الجزء ثم الصفحة ثم المادة ثم الكاتب.

٢ - الإصدار الثاني: وقد بدأ إخراجها في سنة ١٩٦٩م في ستة عشر مجلداً كل مجلد يقارب ستمائة صفحة، واشتملت من حرف الألف وحتى أجزاء من حرف الحاء، وانتهت بمادة (خدا بخش) وهي مشتملة على ما وجد في الطبعة الأولى ورمزوا للمواد المضافة في الطبعة الثانية بالرمز (+).

وقد بلغ عدد كتاب الدائرة في كلا الإصدارين ٤٨٦ كاتباً، حرروا ٣٩٣٠ مادة، وقد جعلت لكل مادة رمزاً مستقلاً نظراً لاختلاف المواد والكتاب في دائرة المعارف.

وقد علق المترجمون وبعض الفضلاء على كلا الطبعتين تعليقات مفيدة، وتنبهوا على بعض الأخطاء، وبقي كثير من الملاحظات التي لم يعلق عليها، أو علق عليها تعليقات غير كافية.

٣ - الإصدار الثالث: أصدره مركز الشارقة للإبداع الفكري سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية وفي هذا الإصدار تم عمل الآتي:

١ - الاعتماد على الإصدارين الأولين المترجمين بما فيهما من تعليقات مع اختصار كثير من المواد، والمعلومات، والتعليقات الأقل أهمية، أو لكونها غير لائقة للقرآن الكريم أو لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بقي ملاحظات كثيرة لم تحذف وقد أخذت ٢٢ مجلداً كل مجلد قرابة ٣٣٠ صفحة، وربما أضيفت معلومات جديدة لمادة موجودة في مكان آخر.^(١)

تمت ترجمة ما بقي من الدائرة من حرف العين إلى حرف الياء مع اختصار لكثير من المواد الأقل أهمية، مع إضافة بعض التعليقات الجديدة، وقد بلغت ١٠ مجلدات فأصبح المجموع ٣٢ مجلداً.

^(١) مثال ذلك أبو العلاء المعري الموجود ترجمته في الإصدار الثالث في نفس ترتيبها ٣٧٤/٢ - ٣٨٠ ثم أضيفت مادة جديدة ((المعري)) ٩٤٤٣/٣٠ - ٩٤٤٩، وربما أراد أن الموضع الثاني أنسب وليس الأمر سهواً بدليل إشارتهم إلى ذلك في الهامش، وفي تقديري أن المادتين يجب أن تكونا في موضع واحد تسهيلاً للقارئ.

المبحث الثالث: الشيعة:

نجد في الدائرة بعض الحقائق عن الشيعة، ومن ذلك شدة خلافهم مع بعض، وتأويلهم للقرآن ليوافق ما يدعون^(١)، ولكن فيها أيضاً أخطاء عدة، يرجع في بعضها إلى اكتفاء الكاتب بمراجع الشيعة في استقاء المعلومات.

ومن تلك الأخطاء:

جاء في مادة الشيعة تبرير موقف الحلوليين منهم: (هذا التصور: هو تصور ظهور الإله في أشخاص البشر، هذا التصور لم يكن غريباً، على محمد عليه السلام، لأن المسيح مثلاً كان في نظره (كلمة الله) [سورة آل عمران الآية ٤٠]، لكنه لم يجعل الوساطة في النجاة في شخص يكون بين الله والإنسان، .. إلى أي حد كانت آراء الشيعة من ظهور الإله في البشر، ومن شفاعة الإمام استمراراً مباشراً لتلك التصورات المماثلة التي ناطها -بحسب ما يرويه ابن إسحاق- بعض شعراء الإسلام الأولين بشخص محمد عليه السلام)^(٢).

قلت التعليق على هذا الكلام من وجوه:

الأول: أن ما استدل به الكاتب هو في الحقيقة دليل ضده حيث إن الآية الكريمة التي وردت فيها (كلمة الله) إنما هي رد على النصارى المغالين في عيسى عليه السلام، القائلين بالتثليث أو ببنوته عليه السلام، أو الزاعمين بتجسد الإله فيه، لا على حلول الإله كما زعم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْثَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْثَمَ وَزُوحٌ مِّنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣).

(١) الدائرة الأولى ٥٧/١٤، ٦٣، ٧٢، الشيعة، شتروتمان.

(٢) الدائرة الأولى ٦٠/١٤-٦١، الشيعة، شتروتمان.

(٣) النساء ١٧١.

وتدل الآية أن عيسى عليه السلام خلق بالروح والكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام، فنفخ في مريم عليها السلام، والكلمة هي (كن فيكون)، التي كانت السبب في وجود عيسى عليه السلام^(١)، وهو بذلك يتشابه مع آدم عليه السلام؛ فكلاهما نفخ فيه الروح وقيل له: كن، فكان؛ لذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

الثاني: ليس بصحيح ما ذكره عن شعراء الإسلام الأولين، وقد ذكر ابن إسحاق مئات الأبيات، وليس فيها ما يدل على الحلول أو يكون بداية له، بل لم أجد الأبيات التي عنها، والمستشرق لم يذكر نص الأبيات حتى تناقش.

وكذلك لا يوجد في الشعر الإسلامي في الصدر الأول في الشفاعة إلا ما يوافق كتاب الله، وهي شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين الموافقة لشروط الشفاعة، أما الشفاعة الشريكية المنفية فحاشا شعراء النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعوا فيها، ولم يذكر الكاتب الأبيات المقصودة.

أما عقيدة الشيعة في الإمامة وغلوهم فيها، فهو انحراف ينسب إليهم وحدهم لا إلى العقيدة الإسلامية التي مصدرها الكتاب والسنة.

وإذا فهم الكلام أو فُسر على غير وجهه بعد بيانه، فالآفة من الفهم، لا من كلام المتكلم.

وقد فهم أقوام من كتاب الله، الفهم الذي ينافي ما جاء به القرآن صراحة، بل استدلوا به على ما يدعون، كما فهم بعض غلاة الشيعة من قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٩٠.

(٢) آل عمران ٥٩.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا^(١). حيث قال: (إن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم، ووصل إلى الكمال والبلاغ)^(٢).

ومثل زعم بيان بن سمعان^(٣): أنه هو المبشر بقول الله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤). وقال: (أنا البيان وأنا الهدى والموعظة)^(٥).

ومثل زعم بعض النصاري بأن القرآن يدل على التثليث بقوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم) لأنه ذكر ثلاثة أسماء، فأجابه بعض الظرفاء بأنك قصرت، وعليك أن تستدل بالقرآن على التسبيع، ووجود سبعة آلهة بمبدأ سورة المؤمن: ﴿حَم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِيهِ الْمَصِيرُ﴾^{(٦)(٧)}.

ففهم أولئك المنحرفين ليس بحجة على كلام الله تعالى، كما لا يصح كلام الكاتب أن تلك الأقوال المنحرفة استمرار مباشر للشعر الإسلامي في الصدر الأول، وكان عليه أن يأتي بذلك الشعر ويبين وجوه المماثلة، وأما الدعوة المجردة فليست بحجة.

(١) المائدة ٩٣.

(٢) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١٥١/١-١٥٢، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ونسبه إلى عبد الله بن عمرو الكندي.

(٣) بيان بن سمعان التميمي، وإليه تنسب الفرقة البيانية، من غلاة الشيعة القائلين بألوهية أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد ادعى بيان بن سمعان النبوة، وقتله خالد بن عبد الله القسري. انظر المصدر السابق، ١٥٢/١-١٥٣.

(٤) آل عمران ١٣٨.

(٥) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ٢٣٧، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دط.

(٦) غافر (المؤمن) ١-٣.

(٧) إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الهندي ٩٣/١، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

علماً أن غالبية الشيعة لا يعتقدون بهذه العقيدة، وصرحوا في كتبهم نفي الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وإنما يقول بذلك بعض الغلاة منهم^(١).

كما جاءت تركيبتهم إلى درجة تفضيلهم على أهل السنة، ومن ذلك ما جاء في مادة الحديث: (الحديث: والشيعة سنيون أكثر كثيراً ممن يسمون أهل السنة، ولا يصح أن نرجع أحاديثهم إلى عهد جد متأخر، لأننا نجد أن بعضها يرجع على عهد متقدم، يرد إلى أبي الأسود الدؤلي)^(٢).

قلت: أما ما يتعلق بدعواه أن الشيعة سنيون أكثر من أهل السنة، فإن هذا القول مثير للعجب، حيث إن الشيعة ينكرون أكثر السنة النبوية بسبب تكفيرهم لغالب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حفظوا سنته ورووا حديثه، ولا يقبلون ما خالف مذهبهم، ولا ما رواه غير أهل البيت، ومما يدل على ذلك ما رواه الكشي^(٣) عن جعفر

(١) ذكر كل من الطوسي والحلي أن الاتحاد محال، ونقل الحر العاملي في رسالة الاثني عشرية إبطال الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وأما القائلون بمذهب الحلول فهم الشيعة من الشيعة وهي فرقة غالبية مخالفة لعوام الشيعة. انظر كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، للمحقق الطوسي والعلامة الحلي، تحقيق الشيخ حسن مكّي العاملي، ص ٢٢٣، الطبعة الأولى، دار الصفوة بيروت، ١٤١٣ هـ، ورسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية للحر العاملي، ص ٨١/٥٨، الطبعة الثالثة، مكتبة المحلاقي، ١٤٢٣ هـ مدينة قم، والشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، للسيد محمد حسن آل الطالقاني، ص ٢٨١-٢٩٧، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م، بيروت لبنان.

(٢) الدائرة الأولى ٦١/١٤، الشيعة، شترومان.

(٣) محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، من فقهاء الإمامية، اشتهر بكتابه (معرفة أخبار الرجال) توفي سنة ٣٤٠ هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٣١١/٦، وهو من أعلمهم بالرجال.

الصادق^(١): (كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي)^(٢).

ويقول أحد مراجع الشيعة في هذا العصر: (إن الشيعة لا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت.. أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية مقدار بعوضة)^(٣).

وكيف يكون كذلك، وهم أكذب الطوائف في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال عنهم الشعبي - وكان بهم خبيراً -: (لو طلبت منهم أن يملأوا لي هذا البيت ذهباً على أن أكذب على علي لأعطوني)^(٤).

وقال عنهم إمام السنة عبد الله بن المبارك^(٥): (الدين لأهل الحديث والكذب للرافضة)^(٦).

ولم يكتفوا في ذلك بالسنة النبوية بل تجاوزوه إلى كتاب الله تعالى، حيث نجد في كتبهم الموثوقة عندهم الروايات عن أئمتهم المشككة بكتاب الله تعالى، ومن ذلك ما ساقه الكليني^(٧) في الكافي عن أبي جعفر^(٨) أنه قال: (ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله

^(١) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين الدين بن الحسين بن علي، رضي الله عن الجميع، لقب بالصدق لمبالغته في الصدق، له منزلة رفيعة في العلم أخذ منه العلم كثر من علماء عصره منهم أبو حنيفة ومالك، ومروياته في الكتب والسنة موجودة، كان صداعاً بالحق، جريئاً على خلفاء بني العباس، جعلته الرافضة سادس أئمتهم، ويكثر كذبهم عليه كما كذبوا على أبيه من قبل، وكان رحمه الله بمقتهم إذا تعرضوا لجده لأمه أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، توفي بالمدينة سنة ٤٨ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٦.

^(٢) رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي ١٢-١٣، تقديم أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات كربلاء دط.

^(٣) أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ص ٧٩.

^(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢٣/١.

^(٥) عبد الله بن المبارك المروزي ١١٨-١٨٠، قال الذهبي: عالم زمانه وشيخ الأتقياء في وقته، من أثبت العلماء في السنة، وقد أجمع أهل العلم على إمامته وجلالته، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣٦-٢٧١.

^(٦) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤١٣/٧.

^(٧) محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني فقيه إمامي من كلين بالري، كان شيخ الشيعة ببغداد، توفي ببغداد سنة ٣٢٩ هـ، انظر: الأعلام للزركلي ١٤٥/٧، وكتابه الكافي في علوم الدين من أمهات كتبهم.

كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده^(٢).

^(١) محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، رضي الله عن الجميع، كان ناسكاً عابداً توفي سنة ١١٤ هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٦/٢٧٠، اعتبرته الرافضة خامس أئمتهم وهم يكثرون من الكذب عليه.

^(٢) أصول الكافي، ١/٢٢٨.

المبحث الرابع: المعتزلة:

جاء في الدائرة الذكر الجليل لبعض المعتزلة، وتصويب آرائهم، والتغاضي عن انحرافاتهم، ومن ذلك: (يسمح الله (جل جلاله) لأشخاص معينين ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم بأن يشفعوا للآخرين في يوم القيامة، وسوف يجيء محمد صلى الله عليه وسلم شفيعاً أيضاً لمن أخطأ من أمته، وقد أنكر المعتزلة ذلك على أسس قرآنية، ولكنه رأي لقي قبولاً عاماً في النهاية)^(١).

جاء في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد^(٢): (.. جعل مذهب المعتزلة المذهب الرسمي للدولة، ومن ثم كان لأحمد شأن هام في محاكمة أحمد بن حنبل، ومع ذلك فقد أظهر في قيامه على هذا المنصب تسامحاً وإنسانية يندر وجودهما في تلك الأيام.. وطبيعي أن الكتاب من أهل السنة قد اشتدوا في الحكم على ابن أبي دؤاد، ولم يخفوا عداوتهم له في أمور الدين، ولكنهم جميعاً اعترفوا بعلمه الغزير وكرم أخلاقه)^(٣).

كما جاء تمجيد ثمامة بن أشرس^(٤) في قولهم عنه: (من المتكلمين، وهو إمام أهل الفكر الحر، في العصر العباسي الأول، وقد استدعاه كل من الخليفين هارون والمأمون، على بلاطهما لسعة علمه، ورجاحة عقله.. وكان فريد عصره في العلم والمعرفة، وخصماً في النقاش يخشى بأسه)^(٥).

(١) الدائرة الثالثة ٧٣٥٢/٢٣، العقيدة، منتقمري وات.

(٢) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الأيادي ١٦٠-٢٤٠، من أئمة المعتزلة والقضاة المشهورين ورأس فتنة القول بخلق القرآن، انظر: تاريخ بغداد للإمام البغدادي ١٤١/٤.

(٣) الدائرة الثانية ٢٨٢/٢، أحمد بن أبي دؤاد، تستر شتين - بلا.

(٤) ثمامة بن أشرس النميري البصري من أئمة المعتزلة توفي سنة ٢١٣ هـ انظر: طبقات المعتزلة، أحمد بن الحسين بن المرتضى، تحقيق سوسنة ديفلد، ٦٢-٦٧، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، وتاريخ بغداد للإمام البغدادي ١٤٥/٧-١٤٨.

(٥) الدائرة الثانية ٣٤٢/١٠-٣٤٣، ثمامة بن أشرس، هورتن.

وبعد أن ذكر الجاحظ^(١) وأدبه جاء: (ولم يكن الجاحظ يخرج عن حدود العقيدة رغم ما في هذا من بعض المشقة)^(٢).

قلت: من الطبيعي أن تعلي الدائرة من رموز المعتزلة، وأن تزور الحقائق لتمجيد أولئك القوم، وسأتناول هؤلاء الثلاثة، ولكن قبل ذلك أبين ما يتعلق بالشفاعة، فإن المستشرق أورد بأن المعتزلة هم الذين يعتمدون على القرآن في نفي الشفاعة، والحق أن الشفاعة ثابتة بالنصوص القرآنية الصريحة المحكمة، وأما نفيها فليس نفيًا كلياً وإنما لعدم تحقق شروطها، ذلك أن هناك في القرآن شفاعتان:

شفاعة أثبتها القرآن وهي المستوفية للشروط الشرعية : وهي أن يكون صاحبها من أهل التوحيد، ولازم ذلك أن تطلب من الله وحده، لأن الله تعالى ذم من طلبها من غيره، يقول سبحانه: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾^(٣).

كما يشترط فيها: إذن الله ورضاه للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع، قال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٥) وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٧).

والشفاعة الأخرى: هي الشفاعة المنفية، وهي التي نفاها القرآن، وذلك لعدم تحقق الشروط السالفة كأن تكون من أهل الشرك، أو عدم تحقق إذن الله للشافع، أو عدم رضاه سبحانه

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني المعروف بالجاحظ ١٦٣ - ٢٥٥هـ، من أئمة المعتزلة كان حسن البيان، (انظر الأعلام للزركلي ٧٤/٥) ألف كتابه المختار في الرد على النصارى.

(٢) الدائرة الثانية ٣٨٤/١٠، الجاحظ، بلا.

(٣) الزمر ٤٣-٤٤.

(٤) البقرة ٢٥٥.

(٥) الأنبياء ٢٨.

(٦) النجم ٢٦.

(٧) طه ١٠٩.

عن الشافع والمشفوع، وقد جاءت الآيات الكريمة بنفي هذا النوع من الشفاعة، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١).

فالذي في القرآن الكريم هو ما تقدم من الشفاعة المثبتة.

أما إنكار المعتزلة للشفاعة ، فهو انحراف ينسب إليهم وحدهم لا إلى الكتاب والسنة؛ إذ المعتزلة باعتراف الدائرة نفسها فرقة ناشئة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري^(٢).

أما ابن أبي دؤاد فقد ذكر المؤرخون: أنه على كرم وسخاء ومكارم، وكان شاعراً أديباً^(٣)، واعتراف أهل السنة بذلك مع كرههم له دليل إنصافهم وعدلهم.

ومما ذكره أيضاً انحراف عقيدته، وجمع مع ذلك امتحان الناس بخلق القرآن، وحملهم على ذلك بالقوة، قال الخطيب البغدادي: (أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن)^(٤).

وأما التسامح فهو منه براء، ذلك أنه حمل الناس على بدعة خلق القرآن، ودفع المعتصم إليها وحمل العلماء عليها، فقطعت أرزاق كثير منهم، وامتحنوا وعذبوا وجلد الإمام أحمد بل وشجع ابن أبي دؤاد الخليفة على قتله.

وقد رق قلب المعتصم على الإمام أحمد لما رأى تصميمه وصلابته، فأغراه ابن أبي دؤاد على ضربه، وقال له: إن تركته قيل أنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله.

وذكر الإمام أحمد أنه أفاق مرة من إغمائه حال تعذيبه فسمع المعتصم يقول لابن أبي دؤاد (لقد ارتكبت إثماً في حق هذا الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنه والله كافر مشرك قد

(١) الأنعام ٥١.

(٢) الدائرة الثالثة ٣٠/٩٣٨٤، المعتزلة، حجرت

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٤/١٢٤، سير أعلام النبلاء ١١/١٦٩.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب ٤/١٤٢-١٥٣.

أشرك من غير وجه)، فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد، قال الإمام أحمد: وقد أراد تخليتي بلا ضرب، فلم يدعه^(١).

فكان من جراء ذلك أن ضرب الإمام أحمد مئات السياط وحبس أكثر من سنتين، وأغمي عليه مراراً، وخرج منه الدم مدراراً، حتى قال أحد جلاديه: (لقد بطل أحمد بن حنبل الشطار، والله لقد ضربته ضرباً لو أبرك لي بعير فضربته ذلك الضرب لنقبت عن جوفه)، وقال شاباص أحد جلاديه: (لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً، لو ضربتها فيلاً لهدته)، وقال آخر للإمام أحمد لما أفاق من إغمائه: (كبيناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك بارية^(٢) ودسناك^(٣))، وأعظم من ذلك كله أن وصل بابن أبي دؤاد أن يقول للمعتصم: (يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل)^(٤).

أيقال بعد ذلك عن ابن أبي دؤاد بعد ذكر محاكمته للإمام أحمد (أظهر في قيامه على هذا المنصب تسامحاً وإنسانية يندر وجودهما في تلك الأيام)^(٥).

ورغم كل ذلك فإن الإمام أحمد عفا عن المعتصم وكل من ضربه إلا صاحب بدعة مستشهداً بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٧)، فهذا هو التسامح الذي يجب الإشادة به^(٨).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٣/١١.

(٢) أي حصير.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٤٠٦-٤١٢، سير أعلام النبلاء ٢٤٨/١١-٢٥٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧٠/١١، ويقال أنه تراجع عن هذه القول ليس شفقة بالإمام أحمد، ولكن خوفاً من تأثير العامة بثباته كما صرح بذلك للمأمون لما أشير عليه بقتله، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٩/١١.

(٥) الدائرة الثانية ٢/٢٨٢، أحمد بن أبي دؤاد، تستر شتين - بلا.

(٦) الشورى ٤٠.

(٧) النور ٢٢.

(٨) المناقب لابن الجوزي ٤٢٣، سير أعلام النبلاء ٢٥٧، ٢٦١.

وأما ثمامة فهو معتزلي ناف لصفات الله، تنسب له فرقة الثمامية من المعتزلة، وكان ممن سعى بأهل السنة في فتنة خلق القرآن، وقيل: إنه هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال^(١).

وقد انفرد عن المعتزلة بكثير من المسائل الجريئة المناقضة للكتاب والسنة، - وربما هي سبب القول عنه في الدائرة: إنه إمام الفكر الحر - حتى قال البغدادي^(٢): (انفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيها)^(٣)، ومن تلك المسائل: أن الكفار والمشركين والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية يصيرون هم وأطفال المسلمين والبهائم تراباً يوم القيامة، مع خلود أصحاب الكبائر من أمة محمد في النار^(٤).

وذكر البغدادي عن سخافة ثمامة ومجونه أموراً عجيبة منها:

أن ثمامة رأى الناس يسرعون إلى المسجد وقت الجمعة، فقال ثمامة لرفيق له: انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر، ثم قال: ماذا صنع العربي بالناس؟. يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأن المأمون ركب يوماً فرأى ثمامة سكران قد وقع في الطين فقال له: ثمامة؟، قال: إي والله، قال: ألا تستحي؟، قال: لا والله، قال: عليك لعنة الله، قال ثمامة: تترى ثم تترى^(٥).

وقال الشهرستاني عنه: (كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار، إذا مات على فسقه من غير توبة)^(٦).

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢، الملل والنحل للشهرستاني ٧٠/١.

(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني إمام في الأصول والفروع توفي سنة ٤٢٩ هـ، انظر: البداية والنهاية ٤٤/١٢.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢.

(٤) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٢، الملل والنحل للشهرستاني ٧٠/١-٧١.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٣.

(٦) الملل والنحل للشهرستاني ٧٠/١.

فأين رجاحة العقل والفكر الحر، وهل هذا سلوك فريد عصره بالمعرفة والعلم؟، أم فريد عصره بالمجون والخلاعة؟.

إن ما تسميه الدائرة فكراً حراً إذا عارض القرآن فهو زندقة، وانحراف عن سائر المسلمين.

أما الجاحظ فقبل الخوض في ضلالته لا بد من الإشارة إلى أن الالتزام بعقيدة القرآن ليس فيها مشقة بل هي الفطرة، وهي عقيدة جميع الأنبياء، والجاحظ لم يلتزم بتلك العقيدة، بل هو من المعتزلة المعطلين لصفات الله النافين لقضائه، بل تنسب إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة، ومن ضلالاتها القول: أن لا فعل للإنسان سوى الإرادة، واستحالة عدم الأشياء بعد حدوثها، وأن الله لا يُدخل النار أحداً، وإنما هي تجذب أهلها بطبعها^(١).

قال البغدادي عن تلك الفرقة: (الجاحظية أتباع عمرو بن بحر الجاحظ، وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول، ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنساناً، فضلاً أن ينسبوا إليه إحساناً)، ثم ذكر الكثير من ضلالاته^(٢).

المبحث الخامس: الصوفية:

جاء في الدائرة محاولة إضفاء الشرعية على التصوف البدعي من خلال أساليب شتى:

فتارة من خلال الإكثار في الدائرة من مصطلحات التصوف، حيث وردت بكثرة في الدائرة، وعلى سبيل المثال وردت المواد الآتية في ذلك: (أهل الصفة)^(٣)، و(أوتاد)^(٤)،

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٦، الملل والنحل للشهرستاني ٧٥/١.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٧٥.

(٣) الدائرة الثانية ١٥٨/٥، أهل الصفة، ريكندروف. وهي نسبة إلى الصحابة الذين كانوا يقيمون في طرف مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم استعمل الصوفية هذا المصطلح على من لا مأوى لهم.

(٤) الدائرة الثانية ١٧٢/٥، أوتاد، قولد زيهير. وهو أحد طبقات الصوفية ولهم شأن كبير في علم الغيب وتدبير أمور الكون بزعمهم.

و(البسط)^(١)، و(البردة)^(٢)، و(البقاء والفناء)^(٣)، و(بیر)^(٤)، و(التصوف)^(٥)، و(الحال)^(٦)،
^(٦)، و(الحضرة)^(٧)، و(الحقيقة)^(٨)، و(الحلول)^(٩)، و(الخرقة)^(١٠)، و(الدوسة)^(١١)، و
(الذكر)^(١٢)، و(السبحة)^(١٣)، و(السماع)^(١٤)،

(١) الدائرة الثانية ٢٣٩/٧، البسط، آري، وهو من أحوال الصوفي، ويقابله القبض وهو في مقام القلب بمثابة الرجاء الذي يقابله الخوف، وفي مقام الخلق الانبساط إليهم بخلاف القبض وهو الانصراف عنهم، وكلاهما رحمة من الله. انظر معجم مصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم الحفني، ط/ أولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، دار المسيرة.

(٢) الدائرة الثانية ٣٠/٧-٣١، البردة، باسية.

(٣) الدائرة الثانية ٤٤٧/٧، بقاء وفناء، رحمن، والبقاء والفناء من أحوال الصوفي، ويقصد بالبقاء عودة الصفات البشرية، وأما الفناء فذهاب إرادة المريد أو صفاته، وربما دلت على وجود صفات إلهية فيه -تعالى الله عما يقولون-. انظر معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم حفني، ٢٠٧.

(٤) الدائرة الثانية ٥٤٤/٨، بیر، دون توقيع، والبیر هو المرشد في الطريقة الصوفية، أو المتلقي للعلم الباطني، ويظهر أنها كلمة فارسية.

(٥) الدائرة الثانية ٣٢٨/٩، التصوف، ماسنيون.

(٦) الدائرة الثانية ٢٥٢/١٣، الحال، مكدونالد. جمعها أحوال، وهو ما يرد من طرب أو حزن أو بسط أو قبض وبما دلت على مواهب في القلب. انظر معجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم حفني ٧٣.

(٧) الدائرة الثانية ١٤٠/١٥، حضرة، مكدونالد، أي المثل في حضرة الله -عند الصوفية- وتطلق على حضور الغيب، وكذلك تطلق على حفلات الجمعة لديهم.

(٨) الدائرة الثانية ١٨١/١٥، الحقيقة، كاريه. مصطلح صوفي يطلق مقابل أهل الشريعة (علماء الفقه) ويراد به المتصوفة، وقد يراد به الذات الإلهية عندهم.

(٩) الدائرة الأولى ٥٥٥/٥-٥٦، حلول، ماسنيون. يقصد الحلول حلول الإله في بعض البشر -تعالى الله عما يقولون-

(١٠) الدائرة الأولى ٢٩٤/٨، الخرقة، ايوار. مصطلح صوفي يدل على خرقة الصوفي وهي لباسه ولها معان باطنية في الإرادة والصدق والبركة والمباينة. انظر معجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم حفني ٨٩.

(١١) الدائرة الأولى ٣١٧/٩، الدوسة، مكدونالد، وهو احتفال صوفي يقام في مصر في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وموالد الأولياء.

(١٢) الدائرة الأولى ٢٧٨/٩، الذكر، مكدونالد. الذكر عن الصوفية له طرق مبتدعة وشعائر تختلف من طريقة إلى أخرى ويصاحبها غناء ورقص وشهقات.

(١٣) الدائرة الأولى ٢٣٣/١١، السبحة، فنسك. السبحة المشهورة وهي عند الصوفية لتسهيل الذكر.

(١٤) الدائرة الأولى ١٨٨/١٢، السماع، مكدونالد. مصطلح صوفي دال على سماع الموسيقى والألحان للوصول إلى حالة الوجد.

و (الزاوية) ^(١)، و (الدرويش) ^(٢).

أما الفرق الصوفية فقد أفردت لها المواد الآتية:

(البيومية) ^(٣)، و (التيجانية) ^(٤)، و (الجلوتية) ^(٥)، و (الحريرية) ^(٦)، و (الحلمانية) ^(٧)، و (الحمالية) ^(٨)، و (الدرقاوية) ^(٩)، و (الرحمانية) ^(١٠)، و (السلمية) ^(١١)، و (السعدية) ^(١٢)، و (السنبلية) ^(١)، و (الشيخية) ^(٢)، و (القادرية) ^(٣).

^(١) الدائرة الأولى ٣٣١/١٠، الزاوية، ليفي بروفنسال. مصطلح يطلق على مكان العبادة عند الصوفية، ومثله التكية وربما كان فيها مدرسة أو حلقة.

^(٢) الدائرة الأولى ٢١٩/٩، الدرويش، مكدونالد. مصطلح يطلق على العضو في الطريقة الصوفية، وربما دلت على الشحاذ الصوفي باللغة التركية والفارسية.

^(٣) الدائرة الثانية ٧٥/٩، البيومية، ايوار. طريقة صوفية أسسها سيدي علي بن الحجازي المولود في بيوم بمصر ١١٠٨هـ، وهي فرع من القاديانية.

^(٤) الدائرة الثانية ٢٢٦/٩، التيجانية، مرجليوث. وهي طريقة صوفية أنشأها أحمد بن محمد التجاني ١١٥٠-١٢٣٠هـ في المغرب العربي وهي فرع من الخلوتية، وهي منتشرة في شمال وغرب أفريقيا.

^(٥) الدائرة الثانية ٢٣٩/١٢، الجلوتية، كلونيا. طريقة صوفية أنشأها محمد جلوتي، المتوفى ٩٨٨هـ في تركيا.

^(٦) الدائرة الثانية ١٨٢/١٤، الحريرية، ماسنيون. فرقة من الرفاعية أنشأها علي بن أبي الحسن الحريري المتوفى ٦٤٥هـ ببصرى في جنوب سوريا الآن.

^(٧) الدائرة الأولى ٥٣/٨، الحلمانية، ماسنيون. طريقة صوفية أسسها في دمشق أبو حلمان الفارسي في القرن الثالث الهجري، وكان من الحلولية.

^(٨) الدائرة الثانية ٤١٨/١٥، الحمالية، فروليش. طريقة صوفية في أفريقيا منسوبة إلى الشريف حمى الله المتوفى ١٩٠٩م وهي حركة إصلاحية على التجانية.

^(٩) الدائرة الأولى، ١٩٨/٩، درقاوي، كور. طريقة في المغرب العربي وهي فرع عن الشاذلية نشأت في القرن الثاني عشر الهجري.

^(١٠) الدائرة الأولى ٧٩/١٠، الرحمانية، مرجليوث. طريقة صوفية بالجزائر نسبة إلى محمد بن عبد الرحمن الجرمي المتوفى ١٢٠٨هـ، وهي فرع من الخلوتية وهي منتشرة في الجزائر وكان مشائخها على ونام مع الاستعمار الفرنسي.

^(١١) الدائرة الأولى ٦٩/١١، السلمية، ماسنيون. وهي فرقة من المتكلمين ذوي النزعات الصوفية تكونت في البصرة في القرن الثالث والرابع الهجري، يقال أسسها سهل التستري المتوفى ٢٨٣هـ وتنسب على أحد تلاميذه محمد بن سالم المتوفى ٢٩٧هـ، ولها ميول اتحادية.

^(١٢) الدائرة الأولى ٤٢٠/١١، السعدية، مرجليوث. فرقة صوفية أسسها يونس سعد الدين الجبائي في مصر في القرن السابع الهجري، وتشتهر بمبالتها في الأولياء، وكثرة الاحتفالات والطقوس والمبتدعة.

كما ذكرت عشرات الطرق تحت مادة (الطريقة) ^(٤).

إضافة إلى ما ذكر في ترجمة بعض رجاله كالبدوي ^(٥) والبسطامي ^(٦) وبكتاش ^(٧) والرفاعي ^(٨) والدسوقي ^(٩) ورابعة العدوية ^(١٠) والسنوسي ^(١١) والسهورودي ^(١٢).

^(١) الدائرة الأولى ١٢/٢٤٠، السنبلية، مرجليوث. طريقة صوفية تنسب إلى سنبل سنان الدين الذي عاش في القرن العاشر الهجري في تركيا وهي فرع من الخلوتية.

^(٢) الدائرة الأولى ١٤/١٩، الشيخية، لا يوجد اسم الكاتب، وهي فرع من الطريقة الشاذلية، أسسها عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي شيخ (٩٥١-١٠٢٣هـ) في المغرب.

^(٣) الدائرة الثالثة ٢٥/٧٩٨١-٧٩٨٨، القادرية، مارجليوث. طريقة صوفية تنسب لعبد القادر الجيلاني المتوفى ٥٦١هـ وانتهت إلى الغلو فيه وتأليهه، وهي منتشرة في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

^(٤) الدائرة الأولى ١٥/١٧٢-١٨٧، الطريقة، ماسنيون. الصوفية عدة طرق وهي سلوك المتصوف في العبادة والذكر والتعامل مع الشيوخ.

^(٥) الدائرة الثانية ٢/٣٠٥-٣١٥، أحمد البدوي، فولرز- وليتمان. أحمد بن علي أبو العباس (٥٩٦-٦٧٥هـ)، ولد بفاس، له شهرة في مصر، توفي في طنطا بمصر.

^(٦) الدائرة الثانية ٢/٣٠، أبو يزيد البسطامي، ريتز. طيفور بن عيسى، توفي في بسطام عام ٢٦١هـ، له شطحات مشهور كقوله (سبحاني سبحاني ما أعظم شأني).

^(٧) الدائرة الثانية ٧/٤٦٧، بكتاش، تشودي. أحد أولياء الصوفية المزعومين في القرن الثامن الهجري ولد بنيسابور، وترجع أهميته اعتناق بعض الإنكشارية في الجيش العثماني مذهبه.

^(٨) الدائرة الأولى ١٠/١٤٧، الرفاعي، مرجليوث. أحمد بن أبي الحسن علي المشهور بابن الرفاعي، شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية البطائحية لسكناء إحدى قرى البطائح في العراق، توفي سنة ٦٧٨هـ، وتشتهر طريقته بالأحوال العجيبة لأصحابها من أكل الحيات وهي حية والدخول في النار وركوب الأسود. أنظر البداية والنهاية ١٢/٣١٢.

^(٩) الدائرة الأولى ٩/٢٣٧، الدسوقي، مرجليوث. إبراهيم ابن أبي المجد عبد العزيز (٦٣٦-٦٧٦هـ) من أهل دسوق بمصر وينسب إليه القول بالحلل، وأنه هو الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا -.

^(١٠) الدائرة الأولى ٩/٤٣٨-٤٤١، رابعة العدوية، مرغيث سميث. رابعة بنت إسماعيل العدوية متصوفة ينسب لها العشق الإلهي، والمبالغة في الزهد، توفيت بالبصرة ١٨٥هـ ويعظمها الصوفية ويتناقلون أقوال وأشعار منسوبة إليها.

^(١١) الدائرة الأولى ١٢/٢٩٣، السنوسي، صبحي. سيدي محمد بن علي السنوسي صوفي ولد سنة ١٢٠٦هـ وعاش في المغرب العربي، وأنشأ عدة زوايا، وبعد موته نصب أحد أولاده أميراً تحت الحماية الإيطالية في ليبيا، ارتفعت الزاوية التابعة للطريقة السنوسية إلى أكثر من مائة زاوية وهي متأثرة بالطريقة الصوفية القادرية والتجانية.

^(١٢) الدائرة الأولى ١٢/٢٩٦، السهورودي، فان دان برغ. السهورودي يحيى بن حبش، فيلسوف متصوف، المشهور بالقتول؛ لأنه قُتل على الزندقة سنة ٥٧١هـ، قتله الملك الظاهر بن صلاح الدين في حلب بأمر من أبيه بفتوى الفقهاء

إن المطلع على الدائرة ليظن أن التصوف جزء من الإسلام لا يتم بدونه، فنجد المواد الكثيرة والتفصيلات الدقيقة عن التصوف التي لا وزن لها، وبالرغم من ذلك يفرد لها المواد والصفحات الكثيرة، ويتجلى ذلك في كثرة المواد المعنونة بمصطلحات التصوف، كما يوجد عند ذكر تراجم أعلامها، بل تعدى الأمر إلى غلبة عادات التصوف على الحقائق الشرعية في بعض المواد، فمثلاً في مادة الذكر عرض مشوش في صفحتين تقريباً، بدأ بالتعريف الديني الذي زعم الكاتب بأنه (تمجيد لله بعبارات محددة معينة تردد بحسب ترتيب الشعائر، ويكون ترديدها جهرية أو سراً مصحوبة بشهقات خاصة وحركات جسمانية معينة)، ثم الخلاف في الجهر أو الإسرار به، وساق آية الأحزاب وحديث حضور الملائكة للذكر ثم خلاف المتصوفة في تفاصيله^(١).

بينما كان الواجب أن يأتي بمعناه الشرعي الذي لا علاقة له بالشهقات والحركات، ثم فضله في الكتاب والسنة، وأثره على حياة المسلم، ثم أهم الأذكار المشروعة وفضل كل منها، وأهم الكتب التي عنت بالذكر، ثم ما أحدثه المتصوفة من بدع مخالفة للشرعية.

وكثيراً ما يُسكت عن انحرافات المتصوفة عند الحديث عن أساطينهم دون الإشارة إلى مخالفتهم للإسلام، أو انتقاد علماء المسلمين لهم، وكمثال على ذلك امتداح البردة للبوصيري دون أن يشار إلى مخالفتها لعقيدة التوحيد من قريب أو بعيد أو حتى كلام علماء السنة فيها، وانتقادهم لبعض أبيائهم، بل تذكر أهميتها وشهرتها، وما يشاع من حوار لها، ويُعرض عن الرأي الآخر حولها^(٢).

ومن المفارقات العجيبة أنهم عند الحديث عن رموز أهل السنة والحديث، فإنهم يفتشون عن أي منتقد لهم، أو يلصقون بهم ما يشوه سيرتهم دون مستند علمي وبغير توثيق.

لفساد عقيدته، وسمي بالمقتول لأن البعض جعله شهيداً، عاش في فارس ثم العراق والشام، تأثر بالفلسفة اليونانية لا سيما الأفلاطونية وزعم أن جميع الأديان والفلسفات متفقة على حقيقة واحدة.

(١) الدائرة الأولى ٢٨٧/٩-٢٨٨، الذكر، مكدونالد.

(٢) الدائرة الثانية ٣٠/٧-٣١، البردة، باسية.

ومن الأمثلة الواضحة تشويهمهم لسمعة أهل السنة وأهل الحديث^(١)، وكذلك الأئمة الأربعة^(٢) وابن تيمية^(٣) وغيرهم، بل إن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلموا من ذلك^(٤).

المبحث السادس: مدحهم للرموز المنحرفة:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مدح أبي الفرج الأصبهاني وكتاب (الأغاني).

المطلب الثاني: مدح ابن العلقمي.

المطلب الثالث: حركة تحرير المرأة.

المطلب الأول: مدح أبي الفرج الأصبهاني^(٥) وكتاب (الأغاني):

حظي أبو الفرج الأصبهاني^(١) بكيل وافر من المديح، حيث سبق أن جاء مدح كتاب الأغاني في الدائرة عند الحديث عن سيف الدولة الحمداني: (وقد أهدى إليه صاحب الأغاني نسخة من هذا الكتاب الجليل التي كتبها بخطه)^(٢).

(١) انظر الدائرة الثانية ٢٥٩/٤، الله، مكدونالد.

(٢) حيث اتهموا أبا حنيفة بقلّة العناية بالتطبيق، (انظر: الدائرة الثانية ٤٥٦/١، أبو حنيفة، شاخت). ووصفوا مذهب الإمام مالك بالتشدد، (انظر: الدائرة الثانية ٢٢٩/١، ابن تومرت، رينيه باسيه). والإمام الشافعي بقلّة التوفيق في أصول الفقه (انظر الدائرة ٥٠١/٣، أصول، شاخت). واتهموا مذهب الإمام أحمد بالتعصب والتشبيه والحشوية. (انظر: الدائرة الثانية ٣٧٦/٢ أحمد بن حنبل، لاوست، و ٣٣١/٩، التصوف، ماسينيون).

(٣) يتهم ابن تيمية بمخالفة الإجماع وتشبيه صفات الله. (انظر: الدائرة ٢٣٣/٢ ابن تيمية، محمد بن شنب) ويتهم أيضا بالهوى (انظر: الدائرة الثانية ١٠٦/٦ الباقلاني، مكارثي).

(٤) انظر ما يتعلق بالصحابة رضي الله عنهم في (الدائرة الثانية ٧٤/٥، أنصار، كندروف) وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بأبو بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم في (الدائرة الثانية ١٥/٦٣، فاليري) وعائشة رضي الله عنها في (الدائرة الأولى ٤٣٢/١٥، عائشة، منتقمري وات).

(٥) لم أجعل أبا الفرج في مبحث الشيعة، لأن ما يناقش فيه متعلق بالجون والفسق، لا التشيع.

كما جاء في ترجمته ثناء عاطر عليه وعلى كتابه (الأغاني)، لم يمازجه أي انتقاد إلا في عدم ترتيبه مقروناً بالتمجيد، ومما جاء: (ولم يلزم أبي الفرج في هذا الكتاب نظاماً معيناً، ومع ذلك فإنه لا يعتبر أهم مرجع للتاريخ الأدبي إلى القرن الثالث الهجري فحسب، بل ويعتبر أيضاً أهم مصدر لتاريخ الحضارة)^(٣).

وجاء في نهاية الترجمة: (وصفوة القول فإن الأغاني يعرض لنا الحضارة العربية جمعاء من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري [التاسع الميلادي]، هذا إلى ما أسداه إلينا صاحب الأغاني من فضل آخر بانتهاجه سنة الكتاب العرب، واستشهاده بفقرات طويلة لكتاب قدامى لم تصلنا مؤلفاتهم، ومن ثم فإن كتابه مرجع أيضاً لتطور الأسلوب العربي)^(٤).

قلت: كتاب الأغاني للأصبهاني وإن كان فيه من الأخبار الكثير، إلا أنه أفسده بما عرض فيه من المجون والفسق وشرب الخمر والخلاعة، وهو بهذا يفقد مصداقيته فضلاً عن أن يمثل الحضارة العربية أو الإسلامية، بل يمثل في الغالب مجتمعات الفساق.

قال ابن الجوزي عن أبي الفرج: (ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق، ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني وجد فيه كل قبيح ومنكر)^(٥).

ومن المفارقات أن يوصف هذا الكتاب الخليع بالجلالة.

وعند المقارنة بين الأغاني وصحيح البخاري في الدائرة يظهر العجب، فالبخاري على تقواه وورعه ومنهجيته، واشتغال كتابه لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مروية بأصح

(١) علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصبهاني ٢٨٤-٣٥٦، ولد بأصبهان ونشأ وتوفي ببغداد، كان شاعراً وأديباً وكاتباً، وعالمًا بأخبار الناس وأيامهم، ولكن فيه تشيع ومجون، أشهر كتبه الأغاني وأيام العرب، انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٣/١١، والأعلام للزركلي ٢٧٨/٤.

(٢) الدائرة الأولى ٤٧٨/١٢، سيف الدولة الحمداني، كارد فو.

(٣) الدائرة الثانية ٥٧٠/١، أبو الفرج الأصبهاني، بروكلمان.

(٤) الدائرة الثانية ٥٧٠/١-٥٧١، أبو الفرج الأصبهاني، نالينو.

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٤٠/٧-٤١، حيدر آباد الطبعة الأولى ١٣٥٨.

الأسانيد المحتج بها بين الفقهاء، والمقبولة بين كافة أهل العلم نجد كثرة الافتراءات عليه كالحكم على بعض أحاديثه بالوضع دون براهين^(١)، وكتاب الأغاني المليء بالمجون مع ضعف الأسانيد، وانحراف صاحبه يثنى عليه، ولا ينتقد، بل يوصف بأنه أهم مصدر لتاريخ الحضارة.

إن هذا من قلب الحقائق بل هو الهوى بعينه.

المطلب الثاني: مدح ابن العلقمي^(٢):

جاء في دائرة المعارف في ترجمة ابن العلقمي^(٣) وزير المستعصم العباسي: (واشتهر ابن العلقمي بعلمه واستقامته وجودة خطه، وكان من هواة جمع الكتب، كما كان نصيراً للعمل، وتقول بعض المصادر: إن ابن العلقمي هو الذي دعا هولاءكو إلى بغداد، وبعد استيلاء التتار على هذه المدينة، وكل إلى ابن العلقمي إدارتها)^(٤).

قلت: كيف يكتب هؤلاء عن تاريخ الإسلام؟ فهذا ابن العلقمي يشار إلى علمه، واستقامته — والاستقامة منه براء — بالتسليم، وما تواتر من تواطئه مع التتار بعبارة (وتقول بعض المصادر).

وقد قال عنه ابن كثير: (وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين، مع أنه من الفضلاء في الإنشاء والأدب، وكان رافضياً خبيثاً، رديء الطوية على الإسلام وأهله، وقد

(١) انظر الدائرة الأولى ١٤/١٥٩، صحيح، الفرد كيوم، حيث يصف ترجمات البخاري (عناوين الأبواب) بأنها مضللة. والدائرة ٤/٢٥٦، مادة الله، ماكدونالد، حيث يصف كثرة الزيادات التي دخلت على الأحاديث وخاصة الأساطير في الملائكة والجن وحتى في أفعال الله، قال: "ونجد هذا كثيراً في صحيح البخاري". والدائرة ٦/٣٦٤-٣٦٥، البخاري، بروكلمان، بعد أن أثنى على الكتاب ودقته قال: "بيد أن البخاري لم يستطع التخلص من الاختلافات التي ذكرها الشراح"

(٢) لم أجعله في مبحث الشيعة لأن الموضوع القائم استقامته لا تشيعه.

(٣) محمد بن أحمد بن العلقمي ٥٩٣-٦٥٦، وزير المستعصم البغدادي، كان رافضياً حاقداً، أعان التتر على دخول بغداد، فحصلت المذبحة العظيمة، ولم ينفعه ذلك إذ مات مهموماً مغموماً بعد أن أهانه التتر، وفي ذلك عبرة، (البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢١٢).

(٤) الدائرة الثانية ١/٣٥٢، ابن العلقمي، فاير.

حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء، ثم مالاً على الإسلام وأهله الكفار: هولاكو خان، حتى فعل ما فعل بالإسلام وأهله^(١).

وقال الذهبي: (أفشى الرفض فعارضه السنة، وأكبت فتنمر، ورأى أن هولاكو على قصد العراق، فكاتبه، وجسره وقوى عزمه على قصد العراق، ليجد عنده يداً، وليتمكن من أغراضه)^(٢).

وكان بسبب فعلته تلك المجزرة الشنيعة التي فعلها التتر في بغداد، إذ قتل الخليفة وأهل العقد والحل، واستبيحت بغداد تسعة وثلاثين يوماً حتى جرت سيول الدماء وأصبحت خراباً بعد عمار^(٣).

إن ما حصل منه ليس مجرد دعوة هولاكو لدخول بغداد، ثم إدارته لبغداد بعد ذلك، بل ما حدث منه إنما هو خيانة عظمى للدولة الإسلامية التي كان هو وزيراً لها، وقبل ذلك خيانة للإسلام والمسلمين، ومعلوم ما تواتر عن المذابح التي أحدثها التتار عند فتح بغداد، وإنهاء الخلافة الإسلامية على أيديهم، والتي ييؤ ابن العلقمي بكفل وافر منها، والتي ربما بسببها استحق الثناء والإشادة من كتاب الدائرة.

وقد قال المؤرخ المعاصر خير الدين الزركلي عنه - رغم قلة نقده -: (صاحب الجريمة النكراء في ممالأة هولاكو على غزو بغداد في رواية أكثر المؤرخين)^(٤).

المطلب الثالث: حركة تحرير المرأة:

جاء في دائرة المعارف مدح الحركة المسماة بتحرير المرأة في مصر، فقد جاء في مادة الحجاب محاولة لتحطيم الحجاب ومدح القائمين بذلك، وهذه مقتطفات من ذلك:

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢١٢/١٣.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٢/٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣٦٢/٢٣.

(٤) الأعلام للزركلي ٣٢١/٥.

(ومن المحقق أن سنة الحجاب لم تكن مرعية في المدينة إلا في القليل النادر، ويبرر القرآن ذلك في الواقع على أساس أن ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾^(١)، على أنه لما اتسعت رقعة الإسلام انتشرت هذه السنة بسرعة، وارتداء الحجاب الذي هو عام في الحضر - حيث تطورت الحركات العقلية - أسهم إلى حد كبير في إبقاء النساء المسلمات في نوع من العزلة، على أنه حدث في نهاية القرن التاسع عشر بفضل الآراء الإصلاحية للخديوي إسماعيل أن هجر بعض النساء المصريات الحجاب، غير أن النصير الحقيقي لحركة المرأة كان هو قاسم أمين، وقد استنكر في كتابه (تحرير المرأة) إبقاء المرأة في حالة خضوع، وقرر حقها في التعلم، ونوه بمضار الحجاب، إذ رأى أنه شر أنواع العبودية، وقد قرر وهو الفقيه، بأنه: لا يوجد في الشريعة الإسلامية حقاً نص يبرر استعمال الحجاب على النحو الشائع وقتذاك)^(٢).

قلت: الحجاب فريضة مأمور بها بنص القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾^(٣)، وكان مرعياً في المدينة إذ كان الصحابة - رضي الله عنهم - يبادرون إلى الاستجابة لأمر الله تعالى، وهذا هو الأصل وعلى المخالف الدليل.

والحجاب تدبير وقائي لصيانة المرأة والمحافظة على عفتها، ولحفظ المجتمع كله من الفواحش وما يترتب عليها من مفساد وخراب البيوت.

والحجاب يعزل المرأة عن الرجال الأجانب عنها، لأن في ذلك مصلحتها، ومصلحة المجتمع كله، ولكنه لا يمنعها من المساهمة في بناء المجتمع، وعلى رأس ذلك القيام بحقوق زوجها وتربية أولادها، ولها أن تعمل في أي عمل لا يمس واجبها الأصلي في بيتها، ولا يعرض عفتها لأي مخاطر.

(١) الأحزاب ٥٩.

(٢) الدائرة الثانية ١٣/٣١٩-٣٢١، الحجاب، شلهود.

(٣) الأحزاب ٥٩.

أما الخديوي إسماعيل^(١) وقاسم أمين^(٢)، فقد تلقى كلاهما تعليمه في فرنسا، وعملاً على نشر الآراء التحريرية المخالفة لتعاليم الإسلام، والتي أدت إلى هجر كثير من المصريات الحجاب، وانتشار الطلاق في المجتمع، وذيوع الفاحشة، ولا شك أن هذا من أبرز مظاهر التأثير الغربي المفسد للمجتمع الإسلامي، وقد اعترف الغربيون أنفسهم بذلك التأثير، حيث قال أحدهم: (إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات، ويقلب رأساً على عقب المجتمع الإسلامي لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة)^(٣).

وقد ألف قاسم أمين كتابه (المصريون) الذي دافع فيه عن الإنسان المصري وتقاليدته ومنها زي المرأة كما هاجم الاختلاط، وتشبه بعض المصريات بالغربيات، وكان تبريره لشعائر الإسلام في ذلة وخضوع، وأغضب هذا الكتاب بعض المصريات في مصر ذوات النفوذ، فشنت حملة ضد قاسم أمين، ولكن ما لبث قاسم أمين أن اقتنع بالأفكار التي كان يهاجمها، فرأى تصحيح خطئه ذلك فألف كتابه (تحرير المرأة)، سنة ١٨٩٩م، الذي دعا فيه إلى تغريب المرأة المسلمة، وتناول أربع مسائل هي: الحجاب، وعمل المرأة في الشؤون العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق، وهو يذهب في كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يطابق مذهب الغربيين، وقد حرص مع تلك الآراء أن يقول إنها موافقة للإسلام^(٤).

وقد فرح الغربيون بهذا الكتاب حتى كتب مصطفى كامل في جريدة (اللواء) بتاريخ ٩ فبراير ١٩٠٩م، مستغرباً لانتشار الكتاب: (هذا وقد انتشر كتاب تحرير المرأة في جهات الهند، واهتم الإنجليز بترجمته وبث قضاياها، وإذاعة مسائله اهتماماً عظيماً، لما وراء العمل من

(١) إسماعيل (باشا) بن إبراهيم بن محمد علي ١٢٤٥-١٣١٢هـ، ولد ونشأ في القاهرة وتعلم في فرنسا، ولي مصر سنة ١٢٧٩، وهو ابن إبراهيم باشا حفيد محمد علي الذين غزوا الجزيرة العربية، وهو أول من أطلق عليه لقب الخديوي من أسرته، كان مولعاً بالبناء؛ فبنى كثيراً من المشاريع وكبد الدولة كثيراً من الديون، ونكب مصر بإنشاء المحاكم المختلطة، بالقوانين الأوروبية، ورضي بالمراقبة الأجنبية لخزائن مصر، غُرل بطلب من الحكومات الغربية، ونفي إلى الآستانة سنة ١٢٩٦هـ، وقضى بقية أيامه في أوروبا والآستانة. انظر: الأعلام للزركلي ٢٠٨/١.

(٢) قاسم بن محمد أمين المصري ١٢٧٩-١٣٢٦هـ، كردي الأصل ولد ونشأ بمصر، ودرس الحقوق بفرنسا، ألف كتابيه المرأة الجديدة وتحرير المرأة فأحدث صدها دواً في مصر، انظر: الأعلام للزركلي ١٨٤/٥.

(٣) الإسلام والغرب، جان بول رد ١٧٨، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

(٤) عودة الحجاب، محمد أحمد المقدم ١٩/٢-٢٤، دار طيبة، دطت.

فائدة لهم^(١)، وقد أدرك قاسم أمين خطأه في توقيت تلك الدعوة، ونشر ذلك في أحد الصحف المحلية حيث قال: (لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك، بل الفرنج في تحرير نسائهم وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم، ومآدبهم وولائمهم. ولكنني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فقد تتبعته خطوات النساء، في كثير من أحياء العاصمة، والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن، إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي واستنفر الناس إلى معارضي .. إنني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل)^(٢).

وقد تلقفت دعوة قاسم أمين الجمعيات التحررية فأفسدت المجتمع المصري، وقد شهد بذلك الشهود:

قال محمد فريد وجدي: (إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة، وأحدثت انتشاراً مفرعاً لمبدأ العزوبية، وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراس، وهرب الشابات من دور أهلهن)^(٣).

وقالت بنت الشاطئ: (إن المرأة دفعت ثمناً للتطور، ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا .. وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي، وترفعها عن التفرغ لما تسميه: خدمة البيوت وتربية الأولاد.. أما الأبناء فتركوا للخدم)^(٤).

وللأسف إن هذا المدح وكيل الشناء والإصلاح إنما يعود ذلك في النهاية إلى فتاة فرنسية كما هو في موضع آخر في الدائرة: (ويرجع الفضل في رسوخ عقيدة قاسم أمين بجتمية تنبيه

(١) عودة الحجاب، محمد أحمد المقدم ٣٠، دار طيبة، دط.

(٢) رجال يختلف فيهم الرأي، أنور الجندي ٢٩، دار الأنصار، القاهرة، دط، نقلاً عن جريدة الظاهر أكتوبر

١٩٠٦م.

(٣) رجال يختلف فيهم الرأي للجندي ٣٠.

(٤) المرجع السابق ٢١.

الرأي العام في مصر بصفة خاصة والعالم العربي بصفة عامة إلى واحدة من أكثر القضايا إلحاحاً ألا وهي رفع المستوى الاجتماعي للمرأة، ويرجع الفضل في هذا إلى الاتصالات التي أقامها بوسط كان معنياً بالرقى الاجتماعي والثقافي أثناء إقامته بباريس، وربما يرجع الفضل - وفقاً لبعض المصادر - إلى علاقة عاطفية تمت بينه وبين فتاة فرنسية وكانت أثرت على فكره تجاه قضية المرأة^(١).

ووصف المستشرق لقاسم أمين بقوله: (وهو الفقيه حق الفقيه) ابتدال لهذه اللفظة وما حوته من معنى كبير، ومنبئة عن طريقة أولئك المستشرقين في إصدار الأحكام.

وللعجب أن نجد في الدائرة نفسها عن أحد أكبر فقهاء الإسلام ولا سيما في علم الأصول، وهو الإمام الشافعي (وحاول الشافعي أيضاً وضع قواعد معينة لاستعمال القياس ولكنه كان قليل التوفيق في ذلك)^(٢).

(١) الدائرة الثالثة ٢٦/٨٠٠٩، قاسم أمين، ريزيتانو.

(٢) الدائرة : ٥٠١/٣، أصول، شاخت.

مراجع البحث

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق - الاستعمار، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م
- ٣- الاستشراق: إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية دت.
- ٤- الاستشراق بين الموضوعية والافتعال: قاسم السامرائي، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- ٥- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: د. محمود حمدي زقزوق، دار المنار، القاهرة، الطبعة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٦- الإسلام كبديل: مراد فلفريد هوفمان، ترجمة غريب محمد غريب، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام، ومجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٧- الأصولية في العالم العربي: ريتشارد كمجيان ، ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٨- الإسلام: هنري باسيه، ترجمة بهيج شعبان، تعليق مصطفى الرفاعي ومحمد جواد مغنية، طبع في عويدات، بيروت، دطت.
- ٩- الإسلام والغرب: دان بول رد، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٦٠ م.

- ١٠- الأعلام: قاموس وتراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.
- ١١- إظهار الحق: رحمة الله بن خليل الهندي، تحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ١٢- البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٣- تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.
- ١٤- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٥- حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد الخامس ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٦- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية: محب الدين الخطيب، ددطت.
- ١٧- دائرة المعارف الإسلامية: (الإصدار الثاني)، أعلام المستشرقين، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام، دار الفكر، القاهرة ١٩٣٣م.
- ١٨- دائرة المعارف الإسلامية: (الإصدار الأول)، أعلام المستشرقين، تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

- ١٩- دائرة المعارف الإسلامية: (الإصدار الثالث)، مركز الشارقة للإبداع
الفكري بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٢٠- رجال اختلف فيهم الرأي: أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة،
دطت.
- ٢١- رجال الكشي: محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي، تقديم أحمد
الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، دطت.
- ٢٢- رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية: للحر العاملي، الطبعة
الثالثة، مكتبة المحلاقي، ١٤٢٣ هـ مدينة قم.
- ٢٣- رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى
الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ
- ٢٤- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية: أنور
الجندي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- ٢٥- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط
وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٢٦- شخصيات فوق العادة: السيد فرج، دار المعارف بمصر، دطت.
- ٢٧- الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها: للسيد محمد حسن
آل الطالقاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م، بيروت لبنان.
- ٢٨- طبقات المعتزلة: أحمد بن الحسين بن المرتضى، تحقيق سوسنة
ديفلد فلزر، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، الناشر: فرانز شتاينر فيسبادن،
مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان ١٤٠٧-١٩٨٧ م.

- ٢٩- العقيدة والشريعة في الإسلام: قولد زيهري، ترجمة وتعليق محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتاب الحديث بمصر، الطبعة الثانية، دت.
- ٣٠- عودة الحجاب: محمد بن احمد المقدم، دار طيبة، الرياض، دت.
- ٣١- الفرق بين الفرق: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعارف، بيروت، دت.
- ٣٢- كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: للمحقق الطوسي والعلامة الحلبي، تحقيق الشيخ حسن مكّي العاملي، الطبعة الأولى، دار الصفوة بيروت، ١٤١٣هـ.
- ٣٣- المستشرقون: نجيب عقيقي، دار المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، دت.
- ٣٤- مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجمعيون: نذير حمدان، مكتبة الصديق للنشر، الطائف، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ٣٥- معجم مصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم الحفني، ط / أولى، دار المسيرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م،
- ٣٦- الملل والنحل: محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار لمعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ٣٧- مناقب الإمام أحمد بن حنبل: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق عبدالله بن عبدالحسن التركي، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ٣٨- المنتظم من تاريخ الملوك والأمم: عبدالرحمن بن علي الجوزي، حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

٣٩- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: أحمد بن

عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤٠- موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين،

بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.